وأما ما ذكره في الكشاف (أنهم كانوا لتعنتهم يقولون : هلا نزل القرآن بلغة العجم ؟ فقيا : لو كان كما يقترحون لم يتركوا الاعتراض والتعنت وقالوا : (لولا فصلت آياته) الخ . فلم نقف على من ذكر مثله من المفسرين وأصحاب أسباب النزول وما هو إلا من صنف ما روى عن سعيد . ولو كلن كذلك لكان نظم الآية : وقالوا لولا فصلت آياته ولم يكن على طريقة (لو) وجوابها . ولا يظن بقريش أن يقولوا ذلك إلا إذا كان على سبيل التهكم والاستهزاء .

وضمير (جعلناه) عائد إلى (الذكر) في قوله (إن الذين كفروا بالذكر) .

وقوله (أأعجمي وعربي) بقية ما يقولونه على فرض أن يجعل القرآن أعجميا أي أنهم لا يخلون من الطعن في القرآن على كل تقدير .

و (لولا) حرف تحضيض .

ومعنى (فصلت) هنا : بينت ووضحت أي لولا جعلت آياته عربية نفهمها .

والواو في قوله (وعربي) للعطف بمعنى المعية . والمعنى : وكيف يلتقي أعجمي وعربي أي كيف يكون اللفظ أعجميا والمخاطب به عربيا كأنهم يقولون : أيلقى لفظ أعجمي إلى مخاطب عربي .

ومعنى (قرآنا) كتابا مقروءا . وورد في الحديث تسمية كتاب داود عليه السلام قرآنا قال النبي A : إن داود يسر له القرآن فكان يقرأ القرآن كله في حين يسرج له فرسه (أو كما قال) .

والأعجمي : المنسوب إلى أعجم والأعجم مشتق من العجمة وهي الإفصاح فالأعجم : الذي لا يفصح باللغة العربية وزيادة الياء فيه للوصف نحو : أحمري ودواري . فالأعجمي من صفات الكلام .

وأفرد (وعربي) على تأويله بجنس السامع والمعنى : أكتاب عربي لسامعين عرب فكان حق (عربي) أن يجمع ولكنه أفرد لأن مبنى الإنكار على تنافر حالتي الكتاب والمرسل إليهم فاعتبر فيه الجنس دون أن ينظر إلى إفراد أو جمع .

وحاصل معنى الآية : أنها تؤذن بكلام مقدر داخل في صفات الذكر وهو أنه بلسان عربي بلغتكم إتماما لهديكم فلم تؤمنوا به وكفرتم وتعللتم بالتعللات الباطلة فلو جعلناه أعجميا لقلتم : هلا بينت لنا حتى نفهمه .

(قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد [44]) هذا جواب تضمنه قوله (ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك) أي ما يقال من الطعن في القرآن فجوابه : أن ذلك الذكر أو الكتاب للذين آمنوا

هدى وشفاء أي أن تلك الخصال العظيمة للقرآن حرمهم كفرهم الانتفاع بها وانتفع بها المؤمنون فكان لهم هديا وشفاء . وهذا ناظر إلى ما حكاه عنهم من قولهم (قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر) فهو إلزام لهم بحكم على أنفسهم .

وحقيقة الشفاء : زوال المرض وهو مستعار هنا للبصارة بالحقائق وانكشاف الالتباس من النفس كما يزول المرض عند حصول الشفاء يقال : شفيت نفسه إذا زال حرجه قال قيس بن زهير : .

شفيت النفس من حمل بن بدر ... وسيفي من حذيفة قد شفاني ونظيره قولهم : شفي غليله وبرد غليله فإن الكفر كالداء في النفس لأنه يوقع في العذاب ويبعث على السيئات .

وجملة (والذين لا يؤمنون) الخ معطوفة على جملة (هو للذين آمنوا هدى) فهي مستأنفة استئنافا ابتدائيا أي وأما الذين لا يؤمنون فلا تتخلل آياته نفوسهم لأنهم كمن في آذانهم وقر دون سماعه وهو ما تقدم في حكاية قولهم (وفي آذاننا وقر) ولهذا الاعتبار كان معنى الجملة متعلقا بأحوال القرآن مع الفريق غير المؤمن من غير تكلف لتقدير جعل الجملة خبرا عن القرآن .

ويجوز أن تكون الجملة خبرا ثانيا عن ضمير الذكر أي القرآن فتكون من مقول وكذلك جملة (وهو عليهم عمى) . والإخبار عنه ب (وقر) و (عمي) تشبيه بليغ ووجه الشبه هو عدم الانتفاع به مع سماع ألفاظه والوقر : داء فمقابلته بالشفاء من محسن الطباق .

هو) ضمير عاد كما الكتاب أو الذكر إلى عائد أنه يتبادر (عمى عليهم هو) وضمير A E) (للذين آمنوا هدى) . والعمى : عدم البصر وهو مستعار هن لضد الاهتداء فمقابلته بالهدى فيها محسن الطباق